

المسلمون أحق بالجودة

وليد بن محمد الفارس

(مناسبة الأسبوع الوطني الخامس للجودة)

الحمد لله، جعل قوة هذه الأمة في إيمانها، وعزها في إسلامها، والتمكين لها في صدق عبادتها، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، دعا إلى الحق وإلى طريق مستقيم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، كانوا في هذه الأمة قدوتها ومصابيحها، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا.

أما بعد: فأوصيكم — أيها الناس — ونفسي بتقوى الله تعالى؛ إذ بما بعد الله المعتصم، وعليها المعول في المغنم والفكاك من المغرم، من لزمها وفق وسدد، ومن غفل عنها فقد غفل إلى ضيعة، والعاقبة للمتقين.

أيها المؤمنون، في أثناء ما كان يبشر الصحابة دفن ابراهيم بن نبينا عليه الصلاة والسلام وعندما كانوا يسوون لحده، رأى p فرجة في لبن اللحد فأمر بما تسد فقبل للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أما إنها لا تضر ولا تنفع ولكنها تفر عين الحي وإن العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه". وفي رواية "انتهى بالجنازة إلى القبر ولم يمكن لها فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سووا في لحد هذا. حتى ظن الناس أنه سنة فالتفت اليهم فقال: أما إن هذا لا ينفع الميت ولا يضره ولكن "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" أورده الألباني في السلسلة الصحيحة. بكل هذه البساطة و برغم شدة المصيبة في فقد الولد و صعوبة الموقف حال الدفن يربي نبينا عليه الصلاة والسلام الصحابة الكرام على إحسان العمل وإتقانه و تأديته على أحواد ما يكون. ويين لهم أن النفس السوية تتوق إلى الجودة في تأدية العمل وإتقانه على أحسن ما يكون، مصداقاً لقول الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (1) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ (2) } قال بعض المفسرين أي ليبلوكم فيعلم أو فينظر أيكم أحسن عملاً. وقال آخرون: { لِيَبْلُوَكُمْ } في معنى ليعلمكم والتقدير ليعلمكم أيكم أحسن عملاً. وفي الآية إيجاز لأن الابتلاء و الاختبار ليعلم كذلك من هو صاحب العمل السيئ فيجازيه بماعمل. و لم تنص الآية أن المراد العمل الأكثر بل المراد الأحسن و هو ما اجتمعت فيه الكمية والكيفية التي ترفعه عن غيره فليس المراد الكم فقط و لا كيف فقط بل ما يحصل باجتماعه منها الأفضلية. و الأصل في كل عمل كي يكون مقبولاً شرطي الإخلاص و المتابعة ثم ينظر بعد ذلك لأعظم الأعمال فالذي يليه. و العمل الذي يجتمع فيه الإخلاص و حضور القلب يفوق مثله مما يزيد عليه في الكم في أغلب أحواله. و الأحسن هو حال النبي صلى الله عليه وسلم و لو كان أرفق بالنفس و أقرب فطريق الجنة مغلق إلا لمن خلفه و طريق الكمال لزوم غرزه حذو القذة بالقذة. ولا ريب أن أحسن عمل نتعبد لله به هو ما وافق السنة و كان خالصاً لوجه سبحانه.

المسلمون أحق بالجودة

وليد بن محمد الفارس

(مناسبة الأسبوع الوطني الخامس للجودة)

أيها المسلمون، في الوقت الذي تهتم فيه الهيئات والجمعيات الدولية بجودة العمل وإتقان الأداء وخصصت يوماً للتوعية بأهمية ذلك وأسمته اليوم العالمي للجودة ، لا نزال نحن المسلمون نعاني ويلات ضعف الإتقان و التهاون في تقديم الخدمات و المنتجات بالمواصفات التي تحفظ حقوق طرفي التعاقد ،والله جل جلاله قد أمرنا بالوفاء بالعقود فقال {ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ..} فكيف سنحقق هذا الأمر الرباني إذا لم نراع مثلث العلاقة بين طرفي التعاقد : (السعر والجودة و طريقة تقديم الخدمة أو تسليم المنتج إلى الطرف الآخر). فيحرص المسلم مقدم الخدمة أو بائع المنتج أن يطلب السعر الذي يناسب لمستوى مواصفات منتجه أو تكون الخدمة التي يقدمها مكافئة لما يحصل عليه من ثمن متفق عليه. كما ينبغي أن يكون تسليم السلعة أو تقديم الخدمة بالطريقة التي تحقق العدالة بين الطرفين من حيث الوقت والأسلوب، وكلما اجتهد طرف في الإحسان في تأدية حقوق الطرف الآخر كان ذلك خيراً له لأن "الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" وهو سبحانه قد قال {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين}.

عباد الله، إن أعظم عمل يهتم العبد بتأديته على أحسن ما يكون بعد توحيد الله هو الصلاة، وقد ربي النبي ρ صحابته الكرام على أن هناك شروطاً وأركاناً وواجبات وسنن ، و هناك حدوداً إذا لم يتجاوزها العبد صحت صلاته وأجزأته وإذا أساء العبد في صلاته بما يخل بصحتها، أمره بالإعادة، ففي الحديث المتفق عليه أن رجلاً دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فصلّى ثم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم فسلم فردّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ارجع فصلّ فإنك لم تصل فرجع فصلّى كما صلى ثم جاء فسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ارجع فصلّ فإنك لم تصل فرجع فصلّى كما صلى ثم جاء فسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليك السلام ارجع فصلّ فإنك لم تصل ففعل ذلك ثلاث مرّات فقال الرّجل والذي بعثك بالحق ما أحسن غير هذا فعلمني، فعلمه إلى آخر الحديث. وقال في حديث عمار بن ياسر τ إن العبد لينصرف من صلاته ولم يكتب له منها إلا نصفها ، إلا ثلثها ، حتى قال : إلا عشرها" حسنه الألباني. وإنك لتعجب عندما تقرأ مثل هذا الحديث ثم تقرأ في أدبيات إدارة الجودة المعاصرة فتجدهم يعرفون الجودة بأنها عمل الشيء الصحيح بطريقة صحيحة من أول مرة وفي كل مرة، فاللهم صل وسلم وبارك على معلم البشرية الذي ربي صحابته على هذا النهج قبل 1400 سنة.

عباد الله، ومن أهم الأعمال التي ينبغي على العبد أن يسعى في تأديتها بجودة وإتقان، ما كان بتعلق بحقوق الآخرين، ويجب فيه الوفاء استجابة لأمر الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود). فالموظف في دائرته مطالب بتأدية عمله على أكمل وجه مقابل ما يتلقاه من أجرة على عمله. وأصحاب المهن يقومون بأعمالهم التي يتعاقدون فيها مع غيرهم، فيؤدونها على أحسن ما يكون حتى يستحقوا الأجرة المتفق عليها ، و إلا كان حاهم كحال المطففين الذين يستوفون حقهم على الكمال و ينفصون من حقوق غيرهم التي عندهم والله جل جلاله يقو {وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ (1) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (2) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ (3) أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ (4) لِيَوْمٍ عَظِيمٍ (5) يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (6) } . وليحذر أصحاب المهن من التهاون في أداء الأعمال المتعاقد

المسلمون أحق بالجودة

وليد بن محمد الفارس

(مناسبة الأسبوع الوطني الخامس للجودة)

عليها بحجة أن بعض ما يتم صنعه غير ظاهر للعيان ولا يؤثر فيعملونه بطريقة سيئة، فإن النبي ﷺ (كما في قصة الحديث الذي ذكرناه آنفاً) أمر بسد فرجة في لحد القبر مع أنها لن تظهر و لن يراها أحد بعد الدفن ولكنّه التوجيه بالإتقان وتنميته لدى الضمير المسلم الواعي؛ ليكون دافعاً قوياً في الدعوة إلى إحسان العمل وإجاده أياً كان، فإذا كان هذا في القبر وحال الموت ففيما هو أكبر منه أولى وأجدر.

وإذا أردت أن تعرف الضيعة التي وكلت إليها حقوق الناس فيما بينهم وبين أصحاب المهن، في ظل غياب التنظيمات التي تضمن جودة العمل وإتقانه، فأنت بائنين من أرباب صنعة معينة وحكم كل واحد منهما في عمل الآخر بعد تمامه، فستجد كل واحد يعيب عمل الآخر ويقول إنه لم يحسن ما صنع ولم يتق الله فيما عمل.

ولقد أحسن من قال:

إذا عمل المرء المكلف مرّةً عملاً فإن العيب أن لا يحسنه

فقد ذكر المختار أن إلهنا يحب لعبد خافه أن يتقنه

و لعل إحدى المشكلات أننا نستكثر ثم خدمة أو سلعة متقنة ونلجأ إلى الأرخص ثم نتحمل المزيد من التكاليف في ترقيع فاتنا من الإتقان. ويزداد الأمر خطورة عندما يكون لنقص جودة السلعة أو العمل أثراً خطيراً على سلامة الإنسان.

أيها الإخوة، تنص مواصفات الجودة المعاصرة على ضرورة المحاسبة والمراقبة والمراجعة الدورية لأعمال الإدارات والهيئات لسد الخلل وتحسين الأداء ورفع الكفاءة، وفي هدي نبينا محمد ﷺ ما يدل على أن ذلك كان منهجاً في حياته الشريفة ﷺ كما في حديث النعمان بن بشير، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسوي صفوفنا. حتى كأنما يسوي بها القداح. حتى رأى أنا قد عقلنا عنه. ثم خرج يوماً فقام حتى كاد يكبر. فرأى رجلاً بادياً صدره من الصف. فقال عباد الله! لتسؤن صفوفكم أو ليخالفن الله بين وجوهكم. و القداح بكسر القاف هي خشب السهم حين تُنحت وتُبرى وأحدها قِدْحُ بكسر القاف معناه يُبالغ في تسويتها حتى تصير كأنما يقوم بها السهم لشدة استوائها واعتدالها. وقال ﷺ "رُصُّوا صفوفكم وقاربوا بينها وحاذوا بالأعناق فوالذي نفسي بيده إني لأرى الشيطان يدخل

المسلمون أحق بالجوذة

وليد بن محمد الفارس

(مناسبة الأسبوع الوطني الخامس للجودة)

من خلل الصفّ كأنها الحذف" أي صغار البهائم والغنم (ابوداود) ، واستجاب الصحابة لذلك الأمر على أحسن ما يكون، كما قال النعمان بن بشير: فرأيت الرجل يلزق منكبه بمنكب صاحبه وركبته بركبة صاحبه وكعبه بكعبه" ابو داود.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمْدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: 88].

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم. وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه فيا فوز المستغفرين

المسلمون أحق بالجوادة

وليد بن محمد الفارس

(مناسبة الأسبوع الوطني الخامس للجودة)

الحمد لله على إحسانه ، والشكر له على توفيقه وامتنانه .وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشانه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه .صلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه وإخوانه . أما بعد: فاتقوا الله تعالى وأطيعوه، وعظموه كما ينبغي له أن يعظم، وابدوه حق عبادته، واشكروه على نعمه؛

عباد الله إن من يسلك سلوك الإتقان و الإحسان، يصبح الإتقان عنده قيمة ملازمة لشخصه فلا يرضى لنفسه من الأعمال إلا ما يؤديه على أحسن ما يكون، وفقا لما أنعم الله عليه من نعم مادية ومعنوية. وتصبح نفسه تواقفة إلى الأفضل في كل مرة يوفقه الله فيها إلى عمل صالح دنيوي أو آخروي. وهذا ما ينادي به اليوم أساتذة إدارة الجودة والتطوير فيحثون الناس على أن ينافسوا أنفسهم بأنفسهم لينتقل من قمة التميز الشخصي إلى قمة أخرى ، والله جل وعلا يقول : { سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ }

أيها المؤمنون، إن في تاريخنا الإسلامي ما سبق هذه الأطروحات المعاصرة بقرون فهذا عمر بن عبدالعزيز الخليفة الصالح يقول لمزاحم مَوْلَاهُ ، إِنِّي قَدْ اشْتَهَيْتُ الْحَجَّ فَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ قَالَ بَضْعَةٌ عَشْرَ دِينَارًا قَالَ وَمَا تَقَعُ مِنِّي ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا ثُمَّ قَالَ لَهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ تَجْهَازُنَا فَقَدْ جَاءَنَا مَالٌ سَبْعَةَ عَشَرَ أَلْفَ دِينَارٍ مِنْ بَعْضِ مَالِ بَنِي مَرْوَانَ قَالَ اجْعَلْهَا فِي بَيْتِ الْمَالِ فَإِنْ تَكُنْ حَلَالًا فَقَدْ أَحَدْنَا مِنْهَا مَا يَكْفِينَا وَإِنْ تَكُنْ حَرَامًا فَكَفَانَا مَا أَصَبْنَا مِنْهَا فَلَمَّا رَأَى عَمْرُ ثَقُلَ ذَلِكَ مَوْلَاهُ مَزَاحِمُ قَالَ وَيْحَكَ يَا مَزَاحِمُ لَأَكْثُرَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ صَنَعْتَهُ اللَّهُ فَإِنْ لِي نَفْسًا تَوَاقِفُ لَمْ تَتَّقِ إِلَى مَنْزِلَةٍ فَنَالْتَهَا إِلَّا تَأَقَّتْ إِلَيَّ مَا هِيَ أَرْفَعُ مِنْهَا حَتَّى بَلَغَتْ الْيَوْمَ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا مَنْزِلَةٌ وَإِنَّهَا الْيَوْمَ قَدْ تَأَقَّتْ إِلَى الْجَنَّةِ. أين هذا ممن تنتهي طموحاته في ريعان شبابه؟

اللهم إنا نسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد